نظرات في أعمال الفنان غسان غائب

نظرات في أعمال الفنان غسان غائب

خضير الزيدي في كل محاولة فنية، يبديها غسان غائب، ثمة مرجعية تلامس جوهر يومياتنا. وكأن طبيعة الإشارات التي يرسلها، لا تكتفي بشكلها ووظيفتها . بل يتعدى الأمر ليثبت أن الفن يؤسس لخلق مخيلة أخرى للإنسان، لهذا تتبنى أعماله ،وخاصة الغارقة بسيل من التجريب البنائي ، لمسات تتناسب مع طرائق المواد المختلفة في العمل الواحد.. وبما أن لا قيمة تذكر للمدلول دون علامات فهو يركز على ضرورة الشكل ومرجعيته وتعدد نواة الاتصال بين مواده المختلفة وانعكاس أية إشارة شكلية مثيرة . هذا التجلي تكمن حقيقته باشتراك وضع نفسي حاد حينما يمارس هذا الفنان الحفر على الخشب ويوازن في تكافؤ معلن بين الاكريليك والورق وأحجار الدومينو مع معادن تخضع جميعها لتركيب بنائي صارم يقدم فيه عمله ذات القياس 30×35 cm حينما يكون مطويا، أما إذا انفتح بجميع تصوره الشكلي فستكون قياساته 180×35 cm على شكل أكورديون والملفت ثمة (قفل على بورد خشب) تبلغ ذروة العمل طاقتها بما يعلنه ذلك القفل وما تحمل إشارته من تأويل يتبنى إضفاء السمة الشعورية على هيكلية العمل بحجمه الكبير وهو تحول يتطابق مع ما تريده حكاية العمل من مرارة وقسوة نفسية يعيشها غسان غائب وطبعا لا تنتهي بمصادقة خياله ليحيلنا في استذكار جميل لياسين عطية، فيسلم بإيقاع المحاكاة بآليته وتعبيره كاشفا عن تنظيمه الصوري بمنطق التحديد الهندسي . قدرة غسان غائب على إشراك مواد متناقضة ومتعددة ليست بالجديدة وطريقة تجميعها ليست خافية علينا، لكن ثمة مهارة تلفت إليها الأنظار وهي تكرس تحولا في الشكل الفني مع إيجاد علاقة وأواصر مع الأصول والمرجعية المحافظة على لوازم طبقات العمل ومعياريته. وأجدني منغمسا في تحليل الغرض الإشاري حينما اكتشف بأن طريقة الطراز الأسلوبي لديه جعلته نافرا ومختلفا عن أقرانه لأنه يسلك مغامرة تجذبنا إليه وغالبا ما تكون وجهتها البصرية مليئة بأنساق وإشارات لها مرجعيتها الشكلية والوظيفية ومن هنا ثمة أدلة تبين بان عمله (كلاكيت 2013 إلى ياسين عطية) إنما مقارباته التأويلية ترينا قدرة في الانزياح والدلالة وتباين مستوى التراكيب وهو ليس انحرافا فاضحا، بل هو نمط للتسليم بأن ما تحدده المخيلة لا يعدو انحرافا لتداعيات الاستذكار حول (صديق) تجلى حضوره العياني ذات يوم ثم غيبه الموت . وعليّ هنا أن أشير لكمية اللون الأسود وسلطته في العمل، فلم يكن إفراطا في تأجيج الاستعارة، انه استخلاص يلازم مقتضى الدلالة الحسية، لهذا لن تكتفي إشارات غسان بدرجاتها المعلنة، بل ثمة سعي جاد يثبت بأن

العمل خال من الدعاية والظاهرة المتداخلة، وهذا ما يجعل قواعد عمله خالية من الملصق الدعائي. وإذا عدنا لما يطرحه بيير جيرو في تصنيفاته للإشارة المنطقية والإشارة التعبيرية سنكتشف بأن إشارة غسان وما أنجزه في عمله يعلن عن حساسية حقيقية فقد تكون الإشارة منطقية من خلال السياق العقلي، وقد تبدو لنا خاضعة للتعبيرية وفقا لإشارتها الوجدانية وهكذا يمضي التلاعب بالأشكال وتحريرها من تبعية الغموض إلى مجال الملامسة حتى آخر قدرة حيال إنتاج هذا التضمين البصري الموحد. تترك بنائية هذا الطريقة في الفن مفارقة لإيجاد غاية للتحاور مع مركباته الشكلية فهي ليست إضافات تتلاقى بوجهة واحدة إنما تخريج لأواصر مواد لها قابلية على الإقامة الطويلة داخل خلق العمل وبهذا تعطينا نسقا صوريا يتسع أمامه المجال لمزيد من التأويل وسيقودنا طبعا إلى مهارته وقدرته وكيفية مزج كل ذلك بافتراض مسبق في تحقيق الغاية من العمل. لقد استثمر غسان في مثال بسيط قابلية (الزفت) في عمله وأعطى اللون الأسود مزيجا من المغامرة ليعلو من شأن ضرورة العاطفة في موضوعة الرثاء .هاجس غسان لا يزال قابعا في تحويل الشكل بحمولاته العاطفية إلى تضمين يحدد غوايته من أجل أن لا يبعد سمات الفن وعضويته التصويرية دون أن يترك أثرا من المعنى فما الذي تحقق لغسان أولا ولنا ثانيا ؟ لقد تحققت معادلة الوحدة في تنوع خطاب الفن جماليا ووفرت قيمة العمل عناصر ليست ثابتة على نحو خاص وما يمكن أن يكون هاجسا شعوريا بالمرارة وفقدان الآخرين يمكن تحويله لثراء صوري وفكرة الإخلاص للاخلاء وثيقة الصلة داخل جوهر غسان غائب وبذات المشاعر المليئة صدقا وهي تفيض من كلمات الإهداء ، أما ما يتركه فينا فليس اقل من بث الجمال والتفكير مليا وعميقا بطرائق منجز الفنان والشواهد كثيرة على أن الدافع الفني يتحقق برغبة البحث والتعبير عنه.